إخبار القرآن الكريم عن موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم ومن كتابهم

د٠ محمد فلاح مندكار (*)

المقدمة :

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد اللهُ فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد ..

فإن القرآن الكريم هو كلمة الله الأخيرة إلى البشر، وهو كتاب أُنزل إلى العالمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها ، فقد خاطب جميع الأمم على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.

وقد خص القرآن الكريم أهل الكتاب من اليهود والنصارى بقسط وافر من حديثه؛ حيث إن القرآن الكريم يعد امتدادًا طبيعيًّا للتوراة والإنجيل؛ فكلهم من مصدر واحد من الله ﷻ.

وانتقد القرآن الكريم كثيرًا من اعتقادات وسلوكيات أهل الكتاب، حيث إن كثيرًا منهم كفروا بكتابهم وتنكبوا الصراط المستقيم، فضلُّوا وأضلُّوا، فجاء القران الكريم كي يصحح أخطاءهم وما وقعوا فيه من ضلالات.

وكان من ضمن ما تحدث عنه القرآن الكريم فيما يخص أهل الكتاب: موقفهم من القرآن الكريم وموقفهم من كتابهم المقدس؛ فالقرآن كشف بجلاء حقيقة ما في نفوسهم تجاهه وتجاه كتابهم، حتى وإن صرحوا بما يخالف ما في نفوسهم، فالقرآن كلام الله، والله ﷻ أعلم بما في نفوسهم وما تكنه ضمائرهم .

(*) الأستاذ المساعد بقسم التفسير والحديث – كلية الشريعة – جامعة الكويت.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تتجلى أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

١- تصاعد حدة الحوار والصراع الفكري بين المسلمين وأهل الكتاب.

٢- الحاجة إلى دراسة علمية تبين حقيقة موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم ومن كتابهم في معترك حوار الأديان بين الإسلام والنصرانية واليهودية.

٣- تجلية موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم وكتابهم في ظل تظاهرهم بإيمانهم بالقرآن الكريم وأنهم لا يكنون أية عدواة للمسلمين.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق التالي:

١- بيان إخبار القرآن الكريم عن موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم.

٢- بيان إخبار القرآن الكريم عن موقف أهل الكتاب من كتابهم.

الدراسات السابقة:

لم أجد أية دراسات سابقة على حد علمي وبحثي القاصر تناولت موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم أو موقفهم من كتبهم المقدسة، ولذلك يعد هذا البحث فريدًا في بابه، ولم ينسج على منواله فيما أحسب، والله تعالى أعلم .

منهج البحث:

المنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على استقراء وجمع كافة الآيات القرآنية الواردة في أهل الكتاب وموقفهم من كتابهم ومن القرآن الكريم وتحليلها وبيان معانيها.

وفي سبيل تحقيق أهداف البحث، سوف أحرص على اتباع النقاط التالية:

١- عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها، وذلك ببيان اسم السورة ورقم الآية.

٢- الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة لتوضيح معاني الآيات القرآنية.

٣- تخريج الأحاديث النبوية من أمهات كتب الحديث، مع بيان درجة الحديث والحكم عليه صحةً وضعفًا إذا كانت روايته من غير الصحيحين.

٤- تخريج الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين من كتب الآثار.

٥- نسبة الأقوال المنقولة إلى قائليها، وتوثيقها من المصادر المعتمدة.

٦- نقل آراء العلماء من واقع كتبهم مباشرة من غير وساطة.

٧- إذا نقلت المعلومات من المراجع بالنص، جعلتها بين قوسين تمييزًا لها.

٨- ألتزم الأمانة العلمية في نقل المعلومات والأقوال والأدلة من المصادر والمراجع المعتمدة في كل فن.

٩- مراعاة قواعد اللغة في كتابة البحث.

خطة البحث :

يتكون هذا البحث من مبحثين:

المبحث الأول: إخبار القرآن الكريم عن موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم وتحته مطلبان :

- المطلب الأول : اختلاف أهل الكتاب تجاه الإيمان بالقرآن .
- المطلب الثاني : دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان به .

المبحث الثاني: إخبار القرآن الكريم عن موقف أهل الكتاب من كتابهم وتحته ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : شك أهل الكتاب واختلافهم في كتابهم .
- المطلب الثاني : تحريف أهل الكتاب لكتابهم .
- المطلب الثالث : دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بكتابهم والعمل بما فيه .

المبحث الأول

إخبار القرآن الكريم

عن موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم

حذر الله ﷻ النبي ﷺ والمؤمنين في آيات كثيرة من أهل الكتاب ومكرهم وبين حقيقة معظمهم: فهم لا يحبون الخير للمؤمنين ولا يرجون أن ينزل عليهم خير من ربهم، كما قال تعالى:آ{**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**} [البقرة: ١٠٥]

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): «يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر تعالى من مشابهتهم للمؤمنين ليقطع المودة بينهم وبينهم ، وينبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل، الذي شرعه لنبيهم محمد ﷺ» [١].

وقال الفخر الرازي (ت٦٠٦): «إنه تعالى لما بين حال اليهود والكفار في العداوة والمعاندة حذر المؤمنين منهم؛ فقال: آ{**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**} فنفى عن قلوبهم الود والمحبة لكل ما يظهر به فضل المؤمنين» [٢] .

وقال السمعاني (ت٤٨٩هـ)[٣]: «ومعنى الآية: أن الأنبياء قبله بعثوا من ولد إسحاق، فلما بعث النبي من ولد إسماعيل لم يقع ذلك بود اليهود ومحبتهم، وأما المشركون فإنما لم تقع نبوته بودهم، لأنه جاء بتضليلهم وعيب آلهتهم» [٤].

وحذر الله ﷻ النبي ﷺ من اتباع أهواء اليهود والنصارى مبينًا أنهم لا يرضون إلا عمن يتبع ملتهم، قال تعالى:{**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**}[البقرة: ١٢٠]

قال ابن القيم (ت٧٥١هـ): «في سياق الآيات الدالة على غش أهل الذمة للمسلمين وعداوتهم وخيانتهم وتمنيهم السوء لهم، ومعاداة الرب تعالى لمن أعزهم أو والاهم أو ولاهم أمور المسلمين» (٥).

وفي السياق نفسه يقول الله تعالى لرسوله ﷺ : **{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}** [البقرة: ١٤٥]

وحذر الله تعالى المؤمنين عامة من مشركي أهل الكتاب، ونهاهم أن يتخذوا منهم بطانة يوالونهم، فقلوبهم تمتلئ بالبغضاء التي تظهر على ألسنتهم مهما حاولوا إخفاءها، يفرحون حينما يمس المؤمنين الضراء، ويحزنون حين يفرح المسلمون، وهذا دأبهم وديدنهم، حتى إنهم يكادون يموتون غيظًا من المؤمنين. يقول تعالى:ٱ**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)}** [آل عمران: ١١٨ – ١٢٠]

وقال تعالى في آيات أخر: ٱ**{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**ّ [آل عمران: ١٨٦]

وقال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ّ [المائدة: ٥٧]

وقال تعالى:{**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)**} [المائدة: ٤٩ – ٥١]

ولذلك نهي القرآن الكريم عن موالاة أهل الكتاب، قال الله تعالى: {**لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**} [آل عمران: ٢٨]

ومن جملة عداوة أهل الكتاب للمؤمنين: موقفهم من القرآن الكريم ، وفي هذا المبحث أتناول ما أخبر به القرآن الكريم عن حقيقة ما في نفوس أهل الكتاب تجاه القرآن الكريم، والذي لا يفصحون عنه، بل يصرحون بضده ، ولذلك قسمت هذا المبحث إلى مطلبين :

المطلب الأول: اختلاف أهل الكتاب تجاه الإيمان بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان به.

المطلب الأول : اختلاف أهل الكتاب تجاه الإيمان بالقرآن الكريم

انقسم أهل الكتاب تجاه القرآن إلى فريقين:

فريق أنار الله بصيرته للإيمان ورأى الحق واضحًا وسار على هدي كتبهم التي تحتوي على «نصوص شديدة الوضوح حول رسالة وشخصية الرسول النبي الأمي محمد ﷺ وضوحا بينا لا لبس فيه، حتى إن كثيراً من اليهود والنصارى الغيورين ليسعدون بقبول محمد رسولاً نبياً عند ظهوره» [٦].

وهذا الفريق المؤمن من أهل الكتاب يتلو كتاب الله حق تلاوته كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [البقرة: ١٢١]

لكن هناك فريقًا آخر كتم الحق، وهم يعلمون علم اليقين صدق الإسلام ورسالته وأنه لا ريب فيه، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٤٦]

وفي سورة المائدة يفرق الله تعالى بين اليهود والنصارى من أهل الكتاب، فاليهود أشد عداوة للذين آمنوا بخلاف المؤمنين من النصارى الذين عرفوا الحق ودخل الإيمان إلى قلوبهم:

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)} [المائدة: ٨٢ – ٨٦]

قال الطبري (ت٣١٠هـ): «قيل: إن هذه الآية والتي بعدها نزلت في نفرٍ قدِموا على رسول الله ﷺ من نصارى الحبشة، فلما سمعوا القرآن أسلموا واتبعوا رسول الله ﷺ، وقيل: إنها نزلت في النجاشيّ ملك الحبشة وأصحابٍ له أسلموا معه» (٧).

«وليسَ المرادُ جميعَ النصارى، بلْ مَنْ أسلمَ؛ كالنجاشيِّ وأصحابِه لما قدمَ عليهم المسلمونَ في الهجرةِ الأولى في السنةِ الخامسةِ من مبعَثِ رسولِ الله» (٨).

فقد «بين الله ﷻ في هذه الآيات أن أشد الكفار تمردًا وعتوًّا وعدواة للمسلمين اليهود، ويضاهيهم المشركون، وبين أن أقربهم مودة النصارى... ومما ذكر تعلم أن المدح لا يشمل من أصر على باطله وكفره من النصارى، فالآية إنما نزلت فيمن آمن من النصارى وصدق بالحق كالنجاشي ومن كان على شاكلته» [٩].

وسوف أتناول في الفرعين التاليين حديث القرآن الكريم عن المؤمنين به من أهل الكتاب وكذلك حديثه عن الكافرين.

الفرع الأول: تصوير المؤمنين من أهل الكتاب بالقرآن.

الفرع الثاني: تصوير الكافرين من أهل الكتاب بالقرآن.

الفرع الأول: تصوير المؤمنين من أهل الكتاب بالقرآن:

في آيات عديدة من القرآن الكريم نجد ملامح صورة المؤمنين من أهل الكتاب بالقرآن وصفاتهم التي تدخل في إطار اتباع الحق والخشوع والإذعان له كما أخبر القرآن الكريم عنهم، فهم في سورة الأعراف يتبعون الحق والنور الذي جاء به النبيﷺ بعد ما أيقنوا وعلموا في دينهم الصحيح أنه النبي الخاتم المخبر عنه في التوراة والإنجيل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث ويضع الإصر والأغلال عنهم، يقول تعالى:ﭐ{**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}[الأعراف: ١٥٧]

فأهل الكتاب المؤمنون يتبعون النور الذي أنزل معه؛ وهو القرآن الكريم.

وهم يعلمون علم اليقين أن القرآن منزل من عند الله، كما يقول الله تعالى في سورة الأنعام:{**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ**

آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}[الأنعام: ١١٤]

وقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}**[البقرة: ١٤٤]

كما أنهم بعد إيمانهم ويقينهم بالحق لا يشترون بآيات الله –القرآن الكريم– ثمنًا قليلا، يقول تعالى: آ**{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** [آل عمران: ١٩٩]

إن الراسخين في العلم منهم يفضي بهم العلم إلى الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، فمن أجل ذلك استحقوا الأجر العظيم الذي أعده الله لهم مكافأة على إيمانهم وإذعانهم إلى الحق، يقول تعالى:آ**{لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا}** [النساء: ١٦٢]

يبين الله ﷻ أن المؤمنين من أهل الكتاب يفرحون بما أنزل إلى النبي في مقابل المنكرين الذين يسوؤهم الحق والهداية. قال تعالى: **{آ وَالَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآَبِ}** [الرعد: ٣٦]

«والذين أنزلنا إليهم الكتاب ممن آمن بك واتبعك يا محمد **{يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ}**منه،**{وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ}**، يقول: ومن أهل الملل المتحزبين عليك، وهم أهل أديان شتى، من ينكر بعض ما أنزل إليك» [١٠] .

الفرع الثاني: تصوير الكافرين من أهل الكتاب بالقرآن:

بينت الآيات القرآنية الصفات التي تنطبق على الكافرين من أهل الكتاب وموقفهم من القرآن الكريم وعنادهم وعدم استجابتهم للحق، رغم علمهم أنه هو الحق المنزل من عند الله في جوانب متعددة:

فهم يكفرون بالقرآن ويلومون المسلمين على إيمانهم به؛ ولذلك يلمزون عبادات المؤمنين بالاستهزاء واللعب ويسخرون من شعائرهم. قال تعالى في سور المائدة: **ﭐ{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)ﭐ** [المائدة: ٥٨ – ٦٣]

والآيات تأمر النبي ﷺ أن قل «لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من أهل الكتاب:{**هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**} أي: هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة»[١١] .

إنهم لا ينقمون من المؤمنين إلا إيمانهم بالله الواحد الأحد، يستهزءون بالعبادات التي تقوم على التوحيد، ينافقون المؤمنين في أقوالهم وأفعالهم، يسارعون في ارتكاب الآثام والعدوان، ويأكلون السحت وهو الرشوة والمال الحرام وقبيح المكاسب، وقد ورد في حديث عبد الله ابن رواحة ﷺ(ت٨هـ) مع أهل خيبر، حين

قالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها فكانوا لا يتفرغون أن يقوموا، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخل وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ.

وكان عبد الله ابن رواحة ﷺيأتيهم كل عام يخرصها عليهم [١٢]، ثم يضمنهم الشطر، قال: فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه، فقال: «**يا أعداء الله، أتطعموني السحت؟! والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي، ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم**». فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض [١٣].

والآيات تنعي على رهبانهم وفقهائهم الذين يعلمون الحق، ومع ذلك لا ينهون قومهم من ارتكاب آثامهم وعدوانهم.

وهم يريدون أن يطفئوا نور الله من حقدهم على المؤمنين، ولكن الله متم نوره ولو كرهوا ،يقول تعالى في سورة الصف: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)**﴾ [الصف: ٧ – ٩]

«والله معلن الحق ومظهر دينه وناصر محمدًا عليه الصلاة والسلام على من عاداه، فذلك إتمام نوره، وعني بالنور في هذا الموضع الإسلام، وكان ابن زيد يقول: عني به القرآن» [١٤] .

قال الطبري: «كان ابن زيد [١٥]يقول: عُني به القرآن... قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾قال: نور القرآن» [١٦] .

كما أن القرآن الكريم لا يزيدهم إلا طغيانًا وكفرًا بسبب عنادهم وكفرهم. يقول تعالى:﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا**

أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٦٨]

أي: «تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيهما، **ﭐ{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ}** فلا تحزن، **ﭐ{عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}** [١٧].

وهم فاسقون ، دائما ما ينقضون العهد ويتبعون الشيطان ، يقول الله تعالى: **ﭐ{أَوَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)}** [البقرة: ٩٩ – ١٠١]

قال القرطبي (ت٦٧١هـ): «في الآية مالك بن الصيف، ويقال فيه ابن الضيف، كان قد قال: والله ما أخذ علينا عهد في كتابنا أن نؤمن بمحمد ولا ميثاق، فنزلت الآية. وقيل: إن اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمن به، ولنكونن معه على مشركي العرب، فلما بعث كفروا به، وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين النبي ﷺ وبين اليهود، فنقضوها كفعل قريظة والنضير» [١٨] .

وهم يكرهون نزول القرآن على المؤمنين ،قال تعالى:**{ﭐ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** [البقرة: ١٠٥]

«والآية تسجل عليهم سوء النوايا نحو المسلمين، وتمني عدم نيلهم بأي نعمة وفضل، واشتراكهم في هذا مع المشركين رغم ما بينهم وبين المشركين من تباعد وتناقض في عقيدة التوحيد، وما بينهم وبين المسلمين من توافق فيها» [١٩].

كما أنهم يرفضون تحكيم كتاب الله القرآن وهم مغرورون بذلك. قال تعالى: **ﭐ{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ**

ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)} [آل عمران: ٢٣ – ٢٤]

«والآيتان تسجلان عليهم رفضهم تحكيم كتاب الله في المسائل التي يكابرون ويمارون فيها بقصد التشويش والتضليل وعدم مبالاتهم من عذاب الله على ذلك حيث يقولون: إن هذا العذاب بالنسبة إليهم هو برهة قصيرة» [٢٠] .

المطلب الثاني : دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان به

لقد سلك القرآن في مخاطبة أهل الكتاب في موقفهم من القرآن الكريم ودعوتهم مسلكي الترغيب والترهيب. ورغبهم بكثير من المكافآت الدنيوية والأخروية، وحذرهم وأرهبهم لكثير من اللعنات والسيئات في الدنيا والآخرة.

وفيما يلي أتناول مسلكي الترغيب والترهيب في دعوة أهل الكتاب في الفرعين التاليين:

الفرع الأول: الدعوة بالترغيب.

الفرع الثاني: الدعوة بالترهيب.

الفرع الأول: الدعوة بالترغيب:

نبه القرآن الكريم أهل الكتاب أن إيمانهم به خير لهم. قال تعالى:**{وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}** [آل عمران: ١١٠]

يعني بذلك تعالى ذكره: «ولو صدق أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى بمحمد ﷺ، وما **جاءهم به من عند الله**، لكان خيرا لهم عند الله في عاجل دنياهم وآجل آخرتهم**{مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ}**يعني: من أهل الكتاب من اليهود والنصارى المؤمنون المصدقون رسول الله ﷺ فيما جاءهم به من عند الله، وهم: عبد الله بن سلام، وأخوه، وثعلبة بن سعية وأخوه، وأشباههم ممن آمنوا بالله، وصدقوا برسوله محمد ﷺ، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله **{وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}** يعني: الخارجون عن دينهم، وذلك أن من دين اليهود اتباع ما في التوراة، والتصديق بمحمد ﷺ،

ومن دين النصارى اتباع ما في الإنجيل، والتصديق به وبما في التوراة، وفي كلا الكتابين صفة محمد ﷺ ونعته ومبعثه وأنه نبي الله، وكلتا الفرقتين، أعني اليهود والنصارى مكذبة، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذي يدعون أنهم يدينون به»[٢١].

ويرغب القرآن الكريم أهل الكتاب بأن من يتبع الهدى يهديه الله إلى سبل السلام ويخرجه من الظلمات إلى النور ، قال تعالى: {آ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**} [المائدة: ١٥ – ١٦]

قال الماوردي (ت٤٥٠هـ): «فيه تأويلان: **أحدهما:** سبيل الله؛لأن الله هو السلام، ومعناه دين الله، وهذا قول الحسن، **والثاني:** طريق السلامة من المخافة، وهو قول الزجاج،{**وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ**} يعني: من الكفر إلى الإيمان بلطفه. {آ **وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**} فيه تأويلان:

أحدهما: طريق الحق وهو دين الله، وهذا قول الحسن.

والثاني: طريق الجنة فى الآخرة، وهو قول بعض المتكلمين» [٢٢] .

ومن صور الترغيب: خطاب التلطف والترفق الذي سلكه القرآن مع أهل الكتاب ليقنعهم بالحق، وينتزعهم من الباطل الذي يتشبثون به. قال تعالى:آ{**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا**

وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)} [آل عمران: ٦٤ – ٧١]

«ذلك لأنهم أظهروا الغيظ والحنق من نبوة محمد ﷺ وسعوا السعي المتواصل للفساد ، فنبه المسلمين إلى صفاتهم في نقض العهود والغدر وما يضمرونه لهم من بغضاء وسوء نية» (٢٣) .

ويعني بذلك جل ثناؤه: «قل يا محمد لأهل الكتاب وهم أهل التوراة والإنجيل: تعالوا، هلموا إلى كلمة سواء، يعني: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل هي أن نوحِّد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئًا» (٢٤).

ويقول الله تعالى لأهل الكتاب في شأن إبراهيم عليه السلام: «تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما دينكم اليهودية والنصرانية، وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وإنما أنزلت التوراة والإنجيل من بعد إبراهيم بزمان طويل، وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألفا سنة **{أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** بطلان قولكم؟» (٢٥).

لقد «حرص اليهود على نسبة إبراهيم لليهودية كما حرص النصارى على نسبته للنصرانية، ومن المعلوم أن نبي الله إبراهيم كان قبل زمن موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد نزهه سبحانه وتعالى من دعاويهم الكاذبة، وبين أنه كان على الحنيفية السمحة ولم يكن مشركًا، والحنيف الذي يوحد ويضحي ويختتن ويستقبل القبلة» (٢٦) .

الفرع الثاني: الدعوة بالترهيب:

يذكِّر القرآن الكريم أهل الكتاب أن الله سريع الحساب للذين يكفرون بآيات الله، وأنه بصير بأحوال عباده يجازي المؤمن بإيمانه والكافر بكفره. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)**﴾ [آل عمران: ١٩ – ٢٠]

والترهيب يأتي تارة بالتخويف من العاقبة السيئة التي تنتظر الكافرين من أهل الكتاب بالقرآن.قال تعالى:﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠)**﴾ [آل عمران: ٨٦ – ٩٠]

عن قتادة (ت١١٨هـ) قال: كان الحسن (ت١١٠هـ) يقول في قوله: ﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**﴾ الآية، «هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، رأوا نعتَ محمد ﷺ في كتابهم وأقرّوا به وشهدوا أنه حقٌّ، فلما بُعث من غيرهم حَسدوا العربَ على ذلك فأنكروه وكفروا بعد إقرارهم حسدًا للعرب حين بُعثَ من غيرهم» (٢٧).

«ثم قال: ﴿**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ**﴾ يعني أهل هذه الصفة التي ذكر ﴿**أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ**﴾ أي: سخط الله. ويقال: الطرد والتبعيد من رحمة الله والخذلان، ويقال: يلعنهم بالقول: والملائكة يعني عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إذا لعن رجل

رجلا، فإن لم يكن أهلا لذلك، رجعت اللعنة إلى الكفار، ويقال: من لم يكن على دينهم يلعنهم في الدنيا، ومن كان على دينهم يلعنهم في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾ [العنكبوت: ٢٥]

فذلك قوله تعالى: ﴿**وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ ثم قال تعالى: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾ يعني: في اللعنة فيما توجبه اللعنة، وهو عذاب النار خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب، أي: لا يهون عليهم العذاب ولا هم ينظرون أي: لا يؤجلون، ثم استثنى التوبة فقال تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا**﴾ [٢٨] .

وقال النبي ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» [٢٩] .

وفي موضع آخر يأتي الترهيب بحلول غضب الله والعذاب الأليم ، فأهل الكتاب حينما جاءهم القرآن وهو مصدق للكتب السابقة بشهادة أهل الكتاب أنفسهم لكن كبرهم وعنادهم جعلهم يكفرون بآيات الله تعالى فكان جزاؤهم اللعنة والغضب والعذاب المهين.قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠)**﴾ [البقرة: ٨٩ – ٩٠]

وكانت العرب تمر باليهود فيؤذونهم، وكانوا يجدون محمدًا ﷺ في التوراة ويسألون الله أن يبعثه فيقاتلوا معه العرب، فلما جاءهم محمد كفروا به حين لم يكن من بني إسرائيل» [٣٠] .

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): «يقول تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ**﴾ يعني: اليهود ﴿**كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ وهو: القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ﴿**مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ**﴾ يعني: من التوراة، وقوله: ﴿**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي:

وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم» (٣١) .

ويأتي الترهيب بحلول الذلة والمسكنة والغضب على الكافرين بآيات الله من أهل الكتاب. قال تعالى:{آ **لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)**} [آل عمران: ١١١ – ١١٢]

«أي: ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا، فلا يأمنون آ{**إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ**} أي: بذمة من الله وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم أحكام الملة آ{**وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**} أي: أمان منهم ولهم، كما في المهادن والمعاهد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين ولو امرأة، وكذا عبد على أحد قولي العلماء» (٣٢) .

ويأتي الترهيب في موضع آخر بحبوط أعمال الكافرين في الدنيا والآخرة ، قال تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢)**} [آل عمران: ٢١ – ٢٢]

«هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى، وتعمُّ كلَّ من كان بهذه الحال، وفيها توبيخ للمعاصرين لرسول الله ﷺ» (٣٣) .

قال ابن كثير: «هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب فيما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديمًا وحديثًا التي بلغتهم إياها الرسل استكبارًا عليهم وعنادًا لهم وتعاظمًا على الحق واستنكافًا عن اتباعه، ومع هذا قتلوا من

قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم إلا لكونهم دعوهم إلى الحق» [٣٤].

فأهل الكتاب يعلمون أن القرآن الكريم كلام الله ولكنهم كفروا به بسبب عنادهم وتكبرهم.

المبحث الثاني

إخبار القرآن الكريم

عن موقف أهل الكتاب من كتابهم

يقرر القرآن الكريم مصداقية كتب أهل الكتاب، فالتوراة من عند الله أنزلها الله هدى ونورًا يحكم بها أنبياء الله ومن آمن بها قبل أن تنالها يد التحريف من الذين اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا وباعوا الآخرة بالدنيا.

قال تعالى:آ{**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)**}[المائدة: ٤٣ – ٤٤]

قال الطبري : «وكيف يحكمك هؤلاء اليهود يا محمد بينهم فيرضون بك حكمًا بينهم وعندهم التوراة التي أنزلتها على موسى التي يقرُّون بها أنها حق وأنها كتابي الذي أنزلته إلى نبيي، وأن ما فيه من حكم فمن حكمي يعلمون ذلك لا يتناكرونه ولا يتدافعونه، ويعلمون أن حكمي فيها على الزاني المحصن الرجم، وهم مع عملهم بذلك يتولون» [٣٥] .

وقال تعالى:{**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**

فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)} [المائدة: ٤٥ – ٤٨]

ٱ{ٱ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ} مناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه لما ذكر تعالى أن التوراة يحكم بها النبيون ذكر أنه قفاهم بعيسى تنبيهًا على أنه من جملة الأنبياء وتنويها باسمه وتنزيها له عما يدعيه اليهود فيه وأنه من جملة مصدقي التوراة، ومعنى: **ٱ{ٱ وَقَفَّيْنَا}** : أتينا به، يقفو آثارهم أي: يتبعها. والضمير في **ٱ{ٱ آثَارِهِمْ}** يعود على النبيين من قوله: **ٱ{ٱ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ}** ، وقيل: على الذين كتبت عليهم هذه الأحكام» [٣٦] .

«وقوله ﷻ : **ٱ{مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ}** أخبر أنه كان مصدقًا ما بين يديه من التوراة؛ فهذا يدل أن الأنبياء ﷺ كان يصدق بعضهم بعضًا فيما أنزل عليهم من الكتب، تأخر أو تقدم وقوله ﷻ: **{وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ}** : **ٱ{ٱ هُدًى}** من الضلالة لمن تمسك به، **ٱ{وَنُورٌ}** لمن عمى ولمن استناره» [٣٧].

وفي آيات أخرى كثيرة في القرآن تخبر بصدق رسالة الأنبياء وصحتها قبل تحريف أهلها، فالله ﷻ أوحى إلى النبي ﷺ كما أوحى إلى الأنبياء قبله الذين جاءوا إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين يحملون الهداية والنور.

قال تعالى:**ٱ{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦)}** [النساء: ١٦٣ – ١٦٦]

وتبين الآيات أن الله ﷻ آتى الأنبياء السابقين الكتاب والحكمة وأخذ الميثاق عليهم في نصرة النبي ﷺ وتصديقه:

قال تعالى:{**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)**} [آل عمران: ٨١ – ٨٣]

ومن تمام إيمان المسلمين أن يؤمنوا بالكتب السابقة المنزلة على الأنبياء وألا يفرقوا بين الأنبياء، فالقرآن يبين أن الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين هي من عند الله قبل تحريفها، ونحن نؤمن بالله وملائكته وكتبه السابقة ورسله السابقين لرسالة الإسلام.

قال تعالى:ٱ{**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)**} [آل عمران: ٨٤ – ٨٥]

«بين ﷻ أن صرح النبوة واحد، وأن كل نبي متمم لما جاء به سابقه مصدق له، ومبشر بالنبي الذي يجيء بعده، وأن ذلك عهد الله وميثاقه، وفي هذه الآية يشير إلى وحدة الرسالة الإلهية، وأن محمدًا ﷺ مؤمن بكل رسول جاء من قبله، وأن ذلك الإيمان جزء من رسالته عليه الصلاة والسلام» [٣٨] .

وكان الناس أمة واحدة، فبعث الله أنبياءه إليهم يبشرونهم وينذرونهم معهم الكتاب المنزل من عند الله، يهديهم إلى طريق الهداية الذي لا اختلاف فيه:

قال تعالى: ٱ{**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا**

الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)} [البقرة: ٢١٣]

وفي سورة المائدة يبين القرآن أنه كتب على بني إسرائيل أحكامًا ربانية، وأنه أرسل رسله إليهم بالبينات، لكنهم أسرفوا على أنفسهم كثير منهم ولم يتبعوا طريق الهداية.

قال تعالى:**{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ}** [المائدة: ٣٢]

وتأتي آيات كثيرة في هذا السياق مثل قوله تعالى: أ**{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}** [يونس: ٩٣ – ٩٤].

قيل: «كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك، فهذا الخطاب مع أهل الشك، معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني من آمن من أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه، فيشهدون على صدق محمدﷺ، ويخبرونك بنبوته» [٣٩].

وقال تعالى:أ**{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ}** [الأنبياء: ٤٨].

مشيرًا إلى التوراة بأنها أنزلت على موسى عليه السلام ضياء وذكرا إشارة إلى صحتها وهدايتها «فذكر ما آتى موسى وهارون إشارة إلى قصتهما مع قومهما مع ما أوتوا

من الفرقان والضياء والذكر» [٤٠]. ومثله قوله تعالى في آيات عديدة تبين أن التوراة والإنجيل هدى ورحمة وضياء وأن القرآن مصدق لأحكامها، ويسير على هديها قبل التحريف:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٤٣]

{وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)} [آل عمران: ٥٠ – ٥١]

{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤)} [آل عمران: ٣ – ٤]

{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}[البقرة: ٢٥٣]

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: ٢٨٥]

وفي هذا المبحث أتناول ما أخبر به القرآن الكريم عن حقيقة ما في نفوس أهل الكتاب تجاه كتبهم المقدسة ، ولذا قسمته إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : شك أهل الكتاب واختلافهم في كتابهم:

قرر القرآن الكريم حقيقة نفسية لدى أهل الكتاب يرفضون الإفصاح عنها؛ وهي شكهم العظيم في كتابهم؛ وبناء على شكهم هذا وقع بينهم الاختلاف في كتابهم.

يقول الله تعالى: **{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ}**[الشورى: ١٤]

ويقول تعالى: **{آ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ}** [هود: ١١٠]

يقول الطبري: « آ**{مُرِيبٍ}** يقول: يُريبهم، فلا يدرون أحق هو أم باطل؟ ولكنهم فيه ممترون» (٤١) .

وقال تعالى: **{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}** [المائدة: ٧٠ – ٧١]

فالكافرون من أهل الكتاب يقتلون الأنبياء، لأنهم جاءوا بما لا تهوى أنفسهم، يعيشون في عمى وصمم عن الحق .

كما أنهم نبذوا كتاب الله واشتروا الدنيا بالآخرة. قال تعالى: آ**{آ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}** [آل عمران: ١٨٧]

فالله ﷻ أخذ على أهل الكتاب ألا يكتموا الحق الذي أنزل إليهم وأن يبينوه للناس، ولكن فريق الكافرين نبذوا عهد الله وراء ظهورهم، ولم يوفوا به وبحثوا عن ثمن قليل من متاع الدنيا.

ومن صفات الكافرين من أهل الكتاب بكتبهم أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، ويتولون أصحاب الأهواء منهم، قال تعالى: آ**{آ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**

لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)}[المائدة: ٧٧ – ٨١].

ولذلك قال رسول الله ﷺ : «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، ولتأطرنه على الحق أطرًا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم**» (٤٢) .

وهم يخفون جانبًا كبيرًا من كتبهم التي تشتمل على البشارات بالنبي ﷺ. قال تعالى: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}**[الأنعام: ٩١].

قال الرازي : «والمراد: أن التوراة كانت مشتملة على البشارة بمقدم محمد واليهود قبل مقدم رسول الله ﷺ كانوا يقرءون تلك الآيات، وما كانوا يفهمون معانيها، فلما بعث الله محمدًا ظهر أن المراد من تلك الآيات هو مبعثه ﷺ، فهذا هو المراد من قوله: وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم» (٤٣) .

المطلب الثاني : تحريف أهل الكتاب لكتابهم

يوجد اختلاف جوهري بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة، يتمثل ذلك في أنّ الله اختص القرآن الكريم بحفظه، وأوكل حفظ الكتب السابقة إلى أصحاب هذه الكتب. قال تعالى:**{إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)}**[المائدة: ٤٤]

وقال تعالى: **ٱ{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [الحجر: ٩]

إلا أن أهل الكتاب أضاعوا الأمانة وحرفوا كتبهم، وقد دلت النصوص القرآنية على تحريفهم الصريح لكتبهم ، ومن تكلم النصوص ما يلي :

آ{أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ٧٥]

آ{أَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}[البقرة: ٧٩]

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}[البقرة: ١٥٩]

{آ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[البقرة: ١٧٤]

{آ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ٧٨]

«والمعنى أنهم يحرفون الكلم ويعدلون به عن القصد ضمانًا لمصالحهم» (٤٤).

آ{أَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} [النساء: ٤٤ – ٤٦]

آ{أَ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} [المائدة: ١٣]

{آ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ}[المائدة: ٤١]

وقد بين ابن القيم (ت٧٥١هـ) كيفية التحريف في الكتب السابقة كما بينها الله ﷻ في القرآن الكريم بقوله: «وأما التحريف فقد أخبر سبحانه عنهم في مواضع متعددة، وكذلك لي اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه. فهذه خمسة أمور:

أحدها: لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

الثاني: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه، وهو قريب من كتمانه.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه.

الخامس: لي اللسان به، ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره» [٤٥] .

وهم في تحريفهم ونبذهم الحق يتبعون الشيطان ولا يتبعون هدي الرحمن. قال تعالى:آ**{آ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}** [البقرة: ١٠٢]

وتحريف أهل الكتاب للحق من كتبهم هو مخالفة الخلف منهم لسلفهم. قال تعالى: آ**{آ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ**

أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }[الأعراف: ١٦٩]

«وفي الآيات تسجيل للعنة الله عليهم، وجعله قلوبهم قاسية بسبب نقضهم مواثيقه، وتذكير بنكال الله في الذين اعتدوا في السبت، وفي آيات الأعراف صورة لاحتيالهم في يوم السبت، وتوضيح لمدى ما جاء في الآيات الأخرى من حكاية اعتدائهم فيه، ونعتهم بأصحاب السبت، وفيها صورة أخرى لما كان من استمرارهم في نقض ميثاق الله واستغلالهم كتابه في أعراض الدنيا، وما كان من تشتيت الله لهم في الأرض وإيذانه بأن يرسل عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب نكالًا لهم على ذلك مما يرى الناس منذ مئات السنين مصداقه في كل مكان» (٤٦).

ولقد جادل القرآن المنحرفين من أهل الكتاب في قضايا تبديلهم ما أنزل إليهم وكفرهم وادعاءاتهم غير الحق في مواضع من القرآن الكريم، فمن أمثلة ذلك : مجادلة القرآن لهم في قولهم إن الله هو المسيح ابن مريم ، فبين القرآن أنه عبد الله في مواضع من كتابه، وأنه وأمه بشر كانا يأكلان الطعام كباقي البشر ولكن الله ﷻ فضله بالرسالة.

ومن ذلك مجادلة القرآن لليهود في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه دون خلقه فأقام القرآن الدليل عليهم وأنهم لو كانوا أبناء الله فلم يعذبهم بكفرهم وذنوبهم ؟؟

قال تعالى: {**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨)**} [المائدة: ١٧ – ١٨]

وهناك نصوص تدل دلالة قاطعة على وقوع التحريف من كتابهم المقدس، من تلك النصوص ما يلي:

١- «أَمَّا وَحْيُ الرَّبِّ فَلاَ تَذْكُرُوهُ بَعْدُ لأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلَهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَهِنَا» (٤٧).

٢- «فَأَخَذَ إِرْمِيَا دَرْجًا آخَرَ وَدَفَعَهُ لِبَارُوخَ بْنِ نِيرِيَّا الْكَاتِبِ فَكَتَبَ فِيهِ عَنْ فَمِ إِرْمِيَا كُلَّ كَلاَمِ السِّفْرِ الَّذِي أَحْرَقَهُ يَهُويَا قِيمُ مَلِكُ يَهُوذَا بِالنَّارِ وَزِيدَ عَلَيْهِ أَيْضًا كَلاَمٌ كَثِيرٌ مِثْلُهُ» (٤٨).

٣- والنبي داود عليه السلام يقول إن كلام الله الموحى به إليه يحرفه الناس في أيامه: «اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ! الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي. عَلَيَّ كُلُّ أَفْكَارِهِمْ بِالشَّرِّ» (٤٩).

٤- «لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لأَنَّكُمْ تَكَلَّمْتُمْ بِالْبَاطِلِ وَرَأَيْتُمْ كَذِبًا، فَلِذَلِكَ هَا أَنَا عَلَيْكُمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَتَكُونُ يَدِي عَلَى الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَرُونَ الْبَاطِلَ وَالَّذِينَ يَعْرِفُونَ بِالْكَذِبِ فِي مَجْلِسِ شَعْبِي لاَ يَكُونُونَ، وَفِي كِتَابِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ لاَ يُكْتَبُونَ، وَإِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ لاَ يَدْخُلُونَ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا السَّيِّدُ الرَّبُّ. مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ أَضَلُّوا شَعْبِي قَائِلِينَ: سَلاَمٌ وَلَيْسَ سَلاَمٌ، وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ يَبْنِي حَائِطًا وَهَا هُمْ يُمَلِّطُونَهُ بِالطُّفَالِ» (٥٠).

ولبعض علماء النصارى إقرار بحقيقة تحريف كتابهم الماثلة أمام الجميع؛ ومنهم موريس بوكاي (ت١٩٩٨م)(٥١)حيث يقول: «إن العهد القديم يتكون من مجموعة من المؤلفات الأدبية، أنتجت على مدى تسعة قرون تقريبًا، وهو يشكل مجموعة متنافرة جدًّا من النصوص عدل البشر من عناصرها عبر السنين، وقد أضيفت أجزاء لأجزاء أخرى كانت موجودة من قبل، بحيث إن التعرف على مصادر هذه النصوص اليوم عسير جدًّا في بعض الأحيان» (٥٢).

ويقول عن الأناجيل: «الأمر نفسه بالنسبة للإنجيل، فخيالات متى، والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل والأمور غير المعقولة وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث والتحريفات المتوالية للنصوص، كل هذا يجعل الأناجيل تحتوي على إصحاحات وفقرات تتبع من الخيال الإنساني وحده» (٥٣).

ومن أمثلة تحريف أهل الكتاب لكتبهم: عبادة بني إسرائيل للعجل واستحلال السبت ورمي مريم بالبهتان وتأليه المسيح.قال تعالى:آ**{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)}**[النساء: ١٥٣ –١٦١]

«فأخذتهم الصاعقة يعني: الموت بظلمهم؛ لقولهم: أرنا الله جهرة: معاينة، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات، يعنى الآيات التسع، فعفونا عن ذلك، فلم نستأصلهم جميعا عقوبة باتخاذهم العجل، وآتينا موسى سلطانا مبينا، يعني: حجة بينة، يعني اليد والعصى، ورفعنا فوقهم الطور يعني الجبل فوق رءوسهم

رفعه جبريلعليه السلام وكانوا في أصل الجبل فرفع الطور فوق رءوسهم، بميثاقهم؛ لأن يقروا بما في التوراة، وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا يعني: باب حطة، وقلنا لهم لا تعدوا في السبت، أي: لا تعدوا في أخذ الحيتان يوم السبت، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا، يعني: شديدًا والميثاق إقرارهم بما عهد اللهعز وجل في التوراة، فبما نقضهم ميثاقهم يعني: فبنقضهم إقرارهم بما في التوراة، وكفرهم بآيات الله يعني: الإنجيل والقرآن، وهم اليهود، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم: قلوبنا غلف، وذلك حين سمعوا من النبيﷺ وقتلهم الأنبياء، عرفوا أن الذي قال لهم النبيﷺ حق، وقالوا قلوبنا غلف، يعني: في أكنة عليها الغطاء، فلا تفقه ولا تفهم» (٥٤) .

ومن صور التحريف: تبديل اللفظ الذي أمروا به. قال تعالى:{آ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)**}[البقرة: ٥٨ – ٥٩]

قال الطبري : «فكان سجود أحدهم على خده، {**وَقُولُوا حِطَّةٌ** }نحط عنكم خطاياكم، فقالوا: حنطة، وقال بعضهم: حبة في شعيرة، {) **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ** }» (٥٥) .

ومن أمثلة التحريف: إحلال بعض الطعام وتحريم البعض.قال تعالى:{**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)**ً [آل عمران: ٩٣ – ٩٥]

«إن الذي حرموه على أنفسهم إنما تبعوا فيه يعقوب ﷺ، ولم تنزل التوراة بشيء منه، ولكنهم ادعوا أنه في التوراة فقال الله: قل يا محمد: ايتوا بالتوراة فإنه لا شيء فيها مما يقولون» (٥٦) .

ومن أمثلة تحريفهم في العقيدة قولهم: إن عيسى ابن الله. قال تعالى:{**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)**}مريم: ٣٤ – ٣٥

«قالوا: إن عيسى ابن الله وأعظموا الفِرية عليه، فما ينبغي لله أن يتخذ ولدًا ولا يصلح ذلك له ولا يكون» (٥٧) .

وقد وصفهم الله تعالى بالكفر في قولهم هذا في المسيح ﷺ، فقال تعالى: {**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥)**} [المائدة: ٧٢ – ٧٥]

ويبين الله ﷻ أن عيسى بشر وأنه عبد الله وشهيد على بني إسرائيل ، قال تعالى:آ{**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**

شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)} [المائدة: ١١٦ – ١١٨]

ومن أمثلة تحريفهم قولهم: يد الله مغلولة. قال تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)}** [المائدة: ٦٤]

«هذا خبر من الله تعالى ذكره عن جرأة اليهود على ربهم، ووصفهم إياه بما ليس من صفته، توبيخًا لهم بذلك، وتعريفًا منه نبيَّه ﷺ قديمَ جهلهم واغترارهم به، وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم، وكثرة صفحه عنهم وعفوه عن عظيم إجرامهم» [٥٨] .

ومن المعلوم تكذيب اليهود والنصارى بعضهم بعضًا وإقرارهم بأن كل فريق منهم على ضلال مبين ،قال تعالى:**{وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)}**[البقرة: ١١٣]

«بين القرآن الكريم ما عليه أهل الكتاب من الدعاوي الباطلة من زعمهم أن الهداية في اتباع اليهودية، أو أنها في اتباع النصرانية، وبين أن تلك الدعاوي لم تكن عن دليل أو شبهة، بل هي مجرد جحود وعناد» [٥٩] .

المطلب الثالث: دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بكتابهم والعمل بما فيه:

دعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بكتابهم والعمل بما فيه، وهذا يقتضي إيمانهم بالنبي محمد ﷺ والقرآن الكريم والدخول في الإسلام.

وتنوع خطاب القرآن الكريم لأهل الكتاب في موقفهم من كتابهم بين الترغيب والترهيب، فرغب القرآن أهل الكتاب في الإيمان بكتبهم، ووعدهم على ذلك الخير والجزاء الحسن، وتوعد الكافرين ورهبهم بأصناف من العقوبات.

وفيما يلي أتناول مسلكي الترغيب والترهيب في دعوة أهل الكتاب في الفرعين التاليين:

الفرع الأول: الدعوة بالترغيب.

الفرع الثاني: الدعوة بالترهيب.

الفرع الأول: الدعوة بالترغيب:

رغَّب القرآن الكريم أهل الكتاب بزيادة الخير في الدنيا إذا هم أقاموا حكم التوراة والإنجيل ، قال تعالى: في قوله تعالى:**{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)}** [المائدة: ٦٦]

أي: «من غير عناء ولا تعب ولا شقاء»[٦٠].

ويحتمل هذا وجهين:

الأول : ولو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل وبما أنزل إليهم من القرآن لأكلوا من كذا مما ذكر.

الثاني :وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} على ما أنزل، ورجعوا عما حرفوا فيها وغيروه وكتموه من نعت نبينا مُحَمَّد ﷺ وصفته، وما فيها من الأحكام لكان لهم ما ذكر واللَّه أعلم، وذلك أنهم كانوا يخافون الضيق إذا أسلموا وهو –واللَّه أعلم– قوله: **{وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا}** [القصص: ٥٧]

فأخبر اللَّه ﷻ أنهم لو آمنوا واتقوا الشرك، لوسع عليهم العيش» [٦١] .

ومن ترغيب القرآن الكريم: الوعد من الله بجعل المؤمنين من أهل الكتاب أئمة إذا هم أيقنوا بآيات الله المنزلة عليهم.قال تعالى: **آ{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا**

تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)}[السجدة: ٢٣ – ٢٤]

«وجعلنا من بني إسرائيل أئمة، وهي جمع إمام، والإمام الذي يؤتمّ به في خير أو شرّ، وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير يؤتمّ بهم ويهْتَدى بهديهم» (٦٢) .

الفرع الثاني: الدعوة بالترهيب:

أنذر القرآن الكريم أهل الكتاب ورهبهم بزرع العداوة والبغضاء بين الكافرين من أهل الكتاب إذا هم نسوا ما أنزل عليهم من آيات الله ، قال تعالى: **آ{وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤}** [المائدة: ١٤]

«أي: حرضنا وألقينا، وهي الأهواء المختلفة والتباغض والخصومات في الدين التي بين اليهود والنصارى.

وقيل: بين النصارى بعضهم مع بعض، وبين اليهود بعضهم مع بعض» (٦٣).

ومن ترهيب القرآن الكريم: حلول اللعنة على أهل الكتاب إذا كفروا بكتابهم، قال تعالى:**{آوَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (٨٨)}**[البقرة: ٨٧ – ٨٨].

«بين تعالى أن السبب في نفورهم عن الإيمان إنما هو أنهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترامهم، وهذا هو الجزاء على الذنب فالذنب أعظم منه، واللعن الإبعاد والطرد» (٦٤) .

وقوله تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**} [البقرة: ١٥٩].

قال الطبري بعد أن ذكر اختلاف المفسرين: «وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: اللاعنون: الملائكة والمؤمنون؛ لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم، إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين، فقال تعالى ذكره: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾[البقرة: ١٦١].

فكذلك اللعنة التي أخبر الله تعالى ذكره أنها حالة بالفريق الآخر الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس، هي لعنة الله التي أخبر أن لعنتهم حالة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار وهم اللاعنون، لأن الفريقين جميعا أهل كفر»[٦٥] .

ومن صور الترهيب أنهم يحرمون من تزكية الله وكلامه ويدخلون النار ، قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦)**} [البقرة: ١٧٤ – ١٧٦]

قال الرازي : «ولا يكلمهم الله فظاهره: أنه لا يكلمهم أصلا لكنه لما أورده مورد الوعيد فهم منه ما يجري مجرى العقوبة لهم»[٦٦] .

ومن صور الترهيب: إرسال من يسومهم سوء العذاب. قال تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٧)**} [الأعراف: ١٦٧].

أي:«أعلم أسلافهم أنهم إن غيروا ولم يؤمنوا بالنبي الأمي بعث الله عليهم من يعذبهم»[٦٧] .

**

خاتمة البحث

من المعلوم بالضرورة أن لكل عمل نتائج وثمرات في نهايته، وقد توصلتُ إلى عدد من النتائج البحثية أثناء عملي، أسجلها في النقاط التالية مستعيناً بالله تعالى:

١. حذر الله ﷻ النبي ﷺ والمؤمنين في آيات كثيرة من أهل الكتاب ومكرهم، وبين حقيقة معظمهم: فهم لا يحبون الخير للمؤمنين، ولا يرجون أن ينزل عليهم خير من ربهم.

٢. حذر الله تعالى المؤمنين عامة من مشركي أهل الكتاب ونهاهم أن يتخذوا منهم بطانة يوالونهم.

٣. من جملة عداوة أهل الكتاب للمؤمنين: موقفهم من القرآن الكريم.

٤. انقسم أهل الكتاب تجاه القرآن إلى فريقين: مؤمن وكافر.

٥. يوجد في آيات عديدة من القرآن الكريم ملامح صورة المؤمنين من أهل الكتاب بالقرآن وصفاتهم التي تدخل في إطار اتباع الحق والخشوع والإذعان له.

٦. بينت الآيات القرآنية الصفات التي تنطبق على الكافرين من أهل الكتاب وموقفهم من القرآن الكريم وعنادهم وعدم استجابتهم للحق، رغم علمهم أنه هو الحق المنزل من عند الله.

٧. يرفض أهل الكتاب تحكيم كتاب الله بيننا وبينهم.

٨. سلك القرآن في مخاطبة أهل الكتاب في موقفهم من القرآن الكريم ودعوتهم مسلكي الترغيب والترهيب. ولقد رغبهم بكثير من المكافآت الدنيوية والأخروية، وحذرهم وأرهبهم من كثير من اللعنات والسيئات في الدنيا والآخرة.

٩. قرر القرآن الكريم مصداقية كتب أهل الكتاب: التوراة والإنجيل.

١٠. قرر القرآن الكريم حقيقة نفسية لدى أهل الكتاب يرفضون الإفصاح عنها؛ وهي شكهم العظيم في كتابهم؛ وبناء على شكهم هذا وقع بينهم الاختلاف في كتابهم.

١١. يوجد اختلاف جوهري بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة من حيث اختصاص القرآن الكريم بحفظ الله، وأوكل حفظَ الكتب السابقة إلى أصحاب هذه الكتب، إلا أن أهل الكتاب أضاعوا الأمانة وحرفوا كتبهم.

١٢. وردت في كتب أهل الكتاب المقدسة نصوص تدل دلالة قاطعة على وقوع التحريف.

١٣. دعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بكتابهم والعمل بما فيه، وهذا يقتضي إيمانهم بالنبي محمد ﷺ والقرآن الكريم والدخول في الإسلام.

هذا ما تيسر تدوينه وتحصّل تلخيصه، والله المسئول أن يتقبله ممن كتبه وانتفع به، إن ربي جواد كريم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

المصادر والمراجع

١- أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، د.جميل عبد الله المصري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٢- أحكام أهل الذمة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بـ«ابن قيم الجوزية» الزرعي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري،وشاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٣- بحر العلوم، للشيخ أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د.محمودمطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٤- البحر المحيط، للإمام أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغَرْنَاطي الجَيَّاني النِّفْزِي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٥- تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق: د.مجدىباسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٦- تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط٣، ١٤١٩هـ.

٧- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي الشافعي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٨- تفسير القرآن، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٩- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: د.عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي الشافعي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٣هـ، ١٩٩٤م.

١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أ.محمود محمد شاكر، مراجعة: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

١٢- الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي المالكي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني وإبراهيم أطفيش وآخرين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٤- حكم معاملة أهل الكتاب، د.سعيد عبد العظيم، دار الإيمان، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٦م.

١٥- دعوة أهل الكتاب إلى دين رب العباد، د.سعيد عبد العظيم، دار العقيدة للتراث، الإسكندرية، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٦- زهرة التفاسير، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، د.ت.

١٧- السنن، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

١٨- السنن، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م.

١٩- السنن، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٢٠- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الشافعي، تحقيق: جماعة من الباحثين، إشراف: شعيب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢١- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٢٢- طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي الشافعي، تحقيق: د.عبد الفتاح الحلو، د. محمود الطناحي، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٢٣- فتح الرحمن في تفسير القرآن، لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢٤- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٢٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٢٦- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، لإبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٢٧- مختصر سنن أبي داود، للحافظ عبد العظيم المنذري، تحقيق: أبي مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٢٨- المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٢٩- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

٣٠- معالم التنزيل في التفسير والتأويل للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٣١- مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٢- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د.حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٣٣- النكت والعيون، للإمام قاضي القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن

عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٣٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ود.محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٣٥- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بـ«ابن قيم الجوزية» الزرعي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم ودار الشامية، جُدَّة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٣٦- الهداية إلى بلوغ النهاية، للإمام المقرئ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، تحقيق: مجموعة من الباحثين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٣٧- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٣٨- اليهود في القرآن الكريم، لمحمد عزة دروزة، المكتب الإسلامي، دمشق، د.ت.

الهوامش

(١) تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي الشافعي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (٣٧٥/١).

(٢) مفاتيح الغيب،للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (٦٣٦/٣).

(٣) الإمام الأصولي المتكلم أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السَّمْعَاني التميمي الحنفي ثم الشافعي. ولد سنة ٤٢٦هـ، وتوفي سنة ٤٨٩هـ. كان مفتى خراسان. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي الشافعي، تحقيق: د.عبد الفتاح الحلو، د. محمود الطناحي، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، (٢١/٤).

(٤) تفسير القرآن، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، (ص١٢٠).

(٥) أحكام أهل الذمة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بـ«ابن قيم الجوزية» الزرعي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري،وشاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، (٤٩٤/١).

(٦) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، لإبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، (ص٣٠).

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أ.محمود محمد شاكر، مراجعة: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، (٤٩٩/١٠).

(٨) فتح الرحمن في تفسير القرآن، لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، (٣٣١/٢).

(٩) حكم معاملة أهل الكتاب، د.سعيد عبد العظيم، دار الإيمان، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٦م، (ص٦٠).

(١٠) جامع البيان (٥٥٥/١٣).

(١١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٤٢/٣).

(١٢) خرص النخلة والكرمة يخرصها خرصا: إذا حزر ما عليها من الرطب تمرا ومن العنب زبيبًا، فهو من الخرص: الظن؛ لأن الحزر إنما هو تقدير بظن. والاسم: الخرص بالكسر. يقال: كم خرص أرضك؟ وفاعل ذلك: الخارص. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ود. محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، (٢٢/٢، ٢٣)، مادة (خ ر ص).

(١٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، كتاب المزارعة، رقم الحديث (٥١٩٩)، (٦٠٧/١١، ٦٠٨).

(١٤) جامع البيان (٦١٤/٢٢).

(١٥) التابعي عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، مولى عمر بن الخطاب ﷺ. من كبار المفسرين، لكنه ضعيف في الحديث. جمع تفسيرًا في مجلد، وكتابًا في الناسخ والمنسوخ. توفي سنة ١٨٢هـ. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي الشافعي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٣هـ، ١٩٩٤م، (١١٤/١٧)، وسير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الشافعي، تحقيق: جماعة من الباحثين، إشراف: شعيب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، (٣٤٩/٨).

(١٦) جامع البيان (٣٦٠/٢٣).

(١٧) معالم التنزيل في التفسير والتأويل للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، (٧٠/٢).

(١٨) الجامع لأحكام القرآن ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي المالكي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني وإبراهيم أطفيش وآخرين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، (٤٠/٢).

(١٩) اليهود في القرآن الكريم، لمحمد عزة دروزة، المكتب الإسلامي، دمشق، د.ت، (ص٥١).

(٢٠) اليهود في القرآن الكريم، لمحمد عزة دروزة، (ص٥٢).
(٢١) جامع البيان (٦٧٨/٥).
(٢٢) النكت والعيون، للإمام قاضي القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، (٢٢/٢).
(٢٣) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، د.جميل عبد الله المصري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، (ص٢٠).
(٢٤) جامع البيان (٤٨٣/٦).
(٢٥) معالم التنزيل، (٥٠/٢).
(٢٦) دعوة أهل الكتاب إلى دين رب العباد، د.سعيد عبد العظيم، دار العقيدة للتراث، الإسكندرية، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، (ص٧٣).
(٢٧) جامع البيان (٥٧٥/٦).
(٢٨) بحر العلوم، للشيخ أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ت، (٢٩٩/١).
(٢٩) المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ،للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م، كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا، رقم الحديث (٢٤٠)، (١٣٤/١).
(٣٠) جامع البيان (٣٣٥/٢).
(٣١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٢٥/١).
(٣٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٠٤/٢).
(٣٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، (٢٦/٢).
(٣٤) تفسير القرآن العظيم (٢٧/٢).
(٣٥) جامع البيان (٣٣٦/١٠).

(٣٦) البحر المحيط، للإمام أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغَرْنَاطي الجَيَّاني النِّفْزِي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (٢٧٧/٤).

(٣٧) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (٥٣٢/٣).

(٣٨) زهرة التفاسير، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، د.ت، (١٢٩٩/٣).

(٣٩) معالم التنزيل، (١٥٠/٤).

(٤٠) البحر المحيط، (٤٣٦/٧).

(٤١) جامع البيان (٤٩٢/١٥).

(٤٢) السنن، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، رقم الحديث (٤٣٣٦)، (١٢١/٤)، والسنن، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، أبواب: تفسير القرآن، باب: من سورة المائدة، رقم الحديث (٣٠٤٧)، (٢٥٢/٥)، والسنن، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث (٤٠٠٦)، (١٣٢٧/٢)، والمسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، رقم الحديث (٣٧١٣)، (٢٥٠/٦، ٢٥١). والحديث صححه المنذري في مختصر سنن أبي داود، تحقيق: أبي مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، (١٣٨/٣).

(٤٣) مفاتيح الغيب(٦٣/١٣).

(٤٤) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، د.جميل عبد الله المصري، (ص١٨).

(٤٥) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بـ«ابن قيم الجوزية» الزرعي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم ودار الشامية، جُدَّة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، (٣١٢/١).

(٤٦) اليهود في القرآن الكريم، لمحمد عزة دروزة، (ص١٩).

(٤٧) سفر إرمياء، أصحاح (٢٣)، عدد (٣٦).

(٤٨) سفر إرمياء أصحاح (٣٦)، عدد (٣٢).

(٤٩) سفر المزامير «الزبور»، مزمور (٥٦)، أعداد (٤، ٥).

(٥٠) سفر حَزْقِيال أصحاح (١٣)، أعداد (٨-١٠).

(٥١) الطبيب الفرنسي موريس بوكاي ***Maurice Bucaille***. ولد في نورماندي سنة ١٩٢٠م. نشأ على المسيحية الكاثوليكية، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود، ومع عمله في المملكة العربية السعودية وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم وألف كتاب «التوراة والإنجيل والقرآن الكريم والعلم». توفي في باريس سنة ١٩٩٨م. ينظر: موقع ويكيبيديا: ***https://ar.wikipedia.org***

(٥٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، (ص٢٨٤).

(٥٣) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، لموريس بوكاي، (ص١٣١).

(٥٤) تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: د.عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، (٤١٩/١).

(٥٥) جامع البيان (١١٥/٢).

(٥٦) الهداية إلى بلوغ النهاية، للإمام المقرئ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، تحقيق: مجموعة من الباحثين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، (١٠٧٣/٢).

(٥٧) جامع البيان (١٩٦/١٨).

(٥٨) جامع البيان (٤٥٠/١٠) بتصرف .

(٥٩) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٤م، (١١٣/١).

(٦٠) تفسير القرآن العظيم،لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط٣، ١٤١٩هـ، (١١٧١/٤).

(٦١) تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٥٥٥/٣).

(٦٢) جامع البيان (١٩٤/٢٠).

(٦٣) الهداية، لمكي بن أبي طالب، (١٦٤٨/٣).

(٦٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، (١٧٧/١).

(٦٥) جامع البيان (٧٣٧/٢).

(٦٦) مفاتيح الغيب (٢٠٥/٥).

(٦٧) الجامع لأحكام القرآن(٣٠٩/٧).

* * *